

عقلية التكتل

أيها الرفاق^(١)

إننا مطالبون بأن ننظر إلى الحزب نظرة جدية لنخدم المستقبل، لنساعد الحزب على التخلّص من كل ما فيه من ثغرات، من نقص، من شوائب، لكي يكون في مستوى المسؤولية التاريخية، ومستوى تحقيق أهدافه في الوطن العربي كله. الكلام خطير، وأي خلل فيه أو ابتعاد عن الحقيقة أو مبالغة أو نقصان يرتب مسؤولية كبيرة.

عندي ملاحظات، وسأقولها بدافع الحرص على الحزب بصورة خاصة. أقولها مستهدفاً البناء والاصلاح.

ولكي أساهم في خلق الجو، الجدير بمؤتمر قومي لحزب البعث ينعقد في ظرف تاريخي هام، أحببت أن أسوق هذه المقدمة البسيطة.

في الحزب بوادر عقلية ونفسية ليست من طبيعته. وخوفاً من أن تتضخم هذه الأشياء في المستقبل، كان من الواجب أن أشير إليها وأن أنبه لكي نعالجها قبل فوات الأوان، لأنها سوف تشوّه الحزب.

وليس من السهل التعبير عنها بكلمة واحدة. أسميها عقلية التكتل، أسميها أحياناً عقلية أو نفسية لاتعتمد على الايمان بالانسان العربي، بالشعب العربي، أسميها استهتاراً..

(١) كلمة في الجلسة الرابعة عشر من جلسات المؤتمر القومي السادس (مناقشة الوضع في سوريا والعراق).

وأحاول أن أجِد لها تفسيراً: هل هي قسوة الظروف في عهد عبدالكريم قاسم؟ هل هي ظروف عهد الوحدة وحكم المباحث وخداع الجماهير والتلاعب بعواطفها؟ هل هذه الظروف التي لم يعتدها الحزب هكذا من قبل أوجدت فيه ضعفاً وتراخياً، نوعاً من السلبية.. وفقدان الروح التي ظللت دوماً هذا الحزب؟

هذا أيها الرفاق كان موجوداً قبل ثورة رمضان. ووصول الحزب الى السلطة ضخم هذه الانحرافات. وإذا كنا الآن نتخوف ونقلق، فلأن السلطة سلاح ذو حدين، قد يحسن الحزب استخدامه لمصلحة عقيدته وأهدافه، وقد يسيء استعماله فيقلب وبالاً عليه.

لذلك اتخوف من إساءة استعمال السلطة. اتخوف إذا نحن لم ننتبه، بكل تفتح، بعيوننا وعقولنا، وبتقديرنا لدورنا التاريخي، أن تورطنا السلطة في أعمال واتجاهات متعسفة متسرعة، تلعب فيها الأنانية الشخصية وربما المصلحة الشخصية الدور الأول. تلعب فيها الانفعالات والأحقاد والمنافسات دوراً كبيراً. دون أن يكون لنا ضوابط ومقاييس واضحة نسترشد بها لتصحيح خطنا التاريخي.

أيها الرفاق

قبل شهر عقد المؤتمر القطري لحزبنا في العراق، ودعيت مع أعضاء القيادة القومية لحضوره وللمساهمة في حل مشاكل أنذرت بالخطر، كنا مطلعين عليها قبل ذلك بأشهر، وكنا نحاول أن نجد لها حلاً، أو نساهم بوضع حل لها، ونظن اننا توصلنا إلى شيء من هذا القبيل، ونعود بعد شهر أو شهرين لنرى بأنها لا زالت دون حل.

ومنذ بداية المؤتمر ظهرت لنا جوانب لم نكن نعرفها من قبل أو كنا نعرفها بشكل مبسط. ظهر لنا أن عناصر من خارج الحزب تحاول أن تستغل الخلافات الداخلية على حساب الحزب.. فكان الموقف الطبيعي أن نبادر إلى تدعيم الحزب ومنع أية محاولة، مهما تكن صغيرة، يمكن أن تمس قوة الحزب.. لذلك لزمنا السكوت عن الأخطاء.. فالمحافظة على الحزب تأتي أولاً.. لأنه إذا حافظنا على الحزب نستطيع أن نصحح، وإذا سمحنا بتفكك الحزب وإضعاف الحزب يصبح أي شيء آخر مستحيلًا.. الرفاق الذين تأخذ عليهم هذه الأخطاء وهذه العقلية هم من طليعة الحزب المناضلة.. كما

أن الحزب في العراق هو حزب مناضل وأساسي . .

قلت أيها الرفاق أن هذا الأسلوب، أو هذه العقلية، كانت موجودة قبل الثورة، وقد لمستها في أكثر من مناسبة، سميتها عقلية التكتل، عقلية الوصاية. ليس تكتلاً لدوافع شخصية أو نفعية، على الأقل في ذلك الحين قبل الثورة. وكما لمست فإنهم ينطلقون بدوافع عقلية الوصاية، من تفاهم شخصي على شيء، ثم يتحوّل النظام الحزبي الى أداة للتبرير . .

وهنا أسمع لنفسي بالمبالغة لكي أتمكن من التوضيح، هذا لم يحصل مائة بالمائة، ولكنه حصل شيء منه: تفاهم شخصي ربما بدوافع طيبة، أعمال فردية . . وجرّ هذا إلى نوع من العلاقات من نفس الطبيعة، مع أعضاء آخرين دوافعهم مختلفة . . المهم أن هذا الأسلوب من حيث المبدأ والنتائج خطر جداً . . يبدأ أحياناً بدوافع طيبة ومن عناصر جدية نشطة، ولكن طبيعة التكتل تفرض حتماً أن تدخل فيه عناصر من نوع آخر . . طالما أن التكتل يكتفي من الآخرين بأن يوافقوه، ومصير التكتل بعد زمن، الانحدار المتزايد في النوعية . .

إني آسف لأن أشير إلى حادثة لاحظتها، ولا بد أنكم لاحظتموها أيضاً في هذا المؤتمر . . عندما انبرى أحد الرفاق ليؤكد أن المؤتمر القومي الخامس قد عدل المادة التي تنص على الأكثرية المطلوبة لتعديل الدستور، وكان ذلك في إحدى الجلسات الأولى . . واندفع أعضاء آخرون، بدون تفكير ولا ترو، يؤكدون صحة قوله، مع أن المؤتمر القومي الخامس لم يعدل تلك المادة . . هذا مثال على عقلية التكتل . .

أيها الرفاق

إن الشيء الهام الذي نرجوه هو: ما الذي يستطيع أن يقدمه هذا الحزب للأمة العربية في المستقبل القريب؟

٢٢ تشرين الأول ١٩٦٣